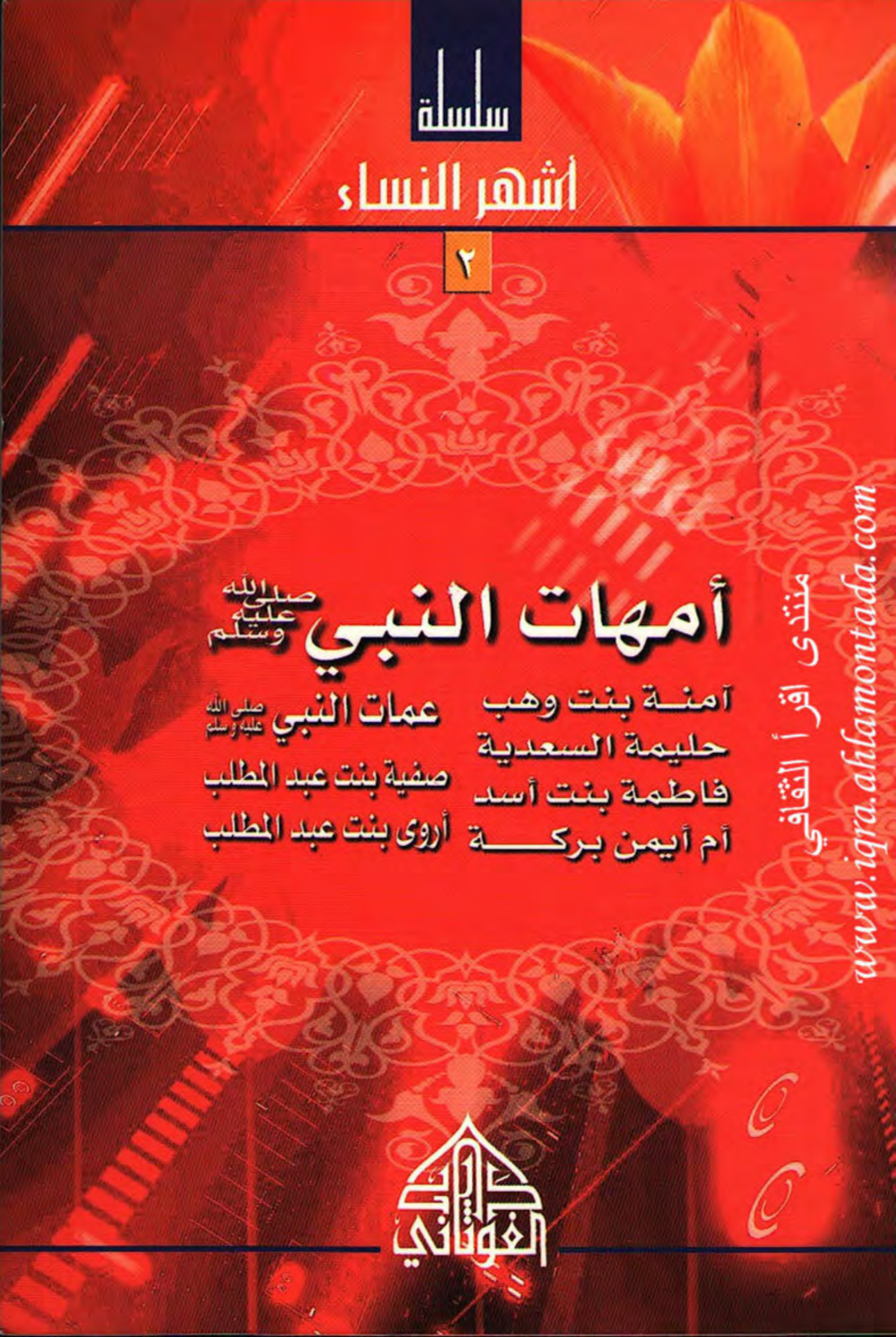

سلسلة
أشهر النساء
٢
أمهات النبي صلى الله عليه وسلم
آمنة بنت وهب
حليمة السعدية
فاطمة بنت أسد
أم أيمن بركة
عمات النبي صلى الله عليه وسلم
صفية بنت عبد المطلب
أروى بنت عبد المطلب
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
الغوثاني



سلسلة أشهر النساء

٢

أمهات النبي



إعداد

منصور علي عرابي

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٦٠



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

كانَ رسُولُ الله ﷺ يُنادي بَعضَ النِّساءِ بقولِه: «يَا أُم...» لأنهنَّ قد سعدنَ بقربِهنَّ من النَّبِيِّ ﷺ وهو صَغيرٌ؛ فمنهنَّ مَن حملَتْ بهِ وولدَتْهُ، ومنهنَّ مَن أرضعَتْهُ، ومنهنَّ مَن قامَتْ على رعايتِهِ في بيتِهَا كأحدِ أبنائهَا، ومنهنَّ مَن كانَتْ حَاضنةً لهُ، ومنهنَّ مَن كانتْ عمَّةً لهُ، ثُمَّ أَسلمَتْ واتبعتْهُ، فنلنَ بذلكَ شَرفَ القرابةِ مع شَرفِ الإسلامِ.

وقَدْ كانَ لهؤلاءِ النُّسوة دورٌ في حياةِ النَّبِيِّ ﷺ، كمَا كانَتْ سِيرتهنّ طيبةً عَطرةً، وسُلوكُهنَّ حَميدًا كَريمًا.

وفي هَذا الكتابِ نتعرّفُ على بعضِ هؤلاءِ النُّسوةِ، وعلى حياتِهنَّ وسُلوكِهنَّ، والدورِ الذي قمنَ به في حياةِ الرّسولِ ﷺ، وذلكَ من أجلِ الاقتداءِ بهنَّ، ولتأخذَ نساءُ المسلمينَ منهنّ الأُسوةَ الحسنةَ في حياتِهنَّ اليومَ.

** ** **

آمنةُ بنتُ وَهبٍ

أخذَ عبدُ المطّلب بيدِ ابنِه عَبدِ الله، فخرجَ به حتى أتى وهبَ ابن عَبدِ مَنافٍ؛ سيّد بَني زَهرة نَسبًا وشَرفًا، فزوّجه ابنتَهُ آمنةَ بنتَ وَهبٍ، وهي يَومئذٍ أفضَلُ امرَأةٍ من قُريشٍ نَسبًا وموضِعًا، فلمَّا دخلَ بها حَملتْ برسولِ الله ﷺ، وهي لا تَدري ذلكَ، فمَا شَعرتْ أنَّها حملتْ بهِ، لأنها لم تجدْ ثِقلَهُ كما تجدُ النّساءُ، ولكن امتنعَ حَيضُها.

وذاتَ لَيلةٍ أتاهَا آتٍ وهي بينَ اليقظةِ والمنامِ، فقالَ لهَا: هَلْ شَعرتِ أنكِ حَملتِ؟ فَقالتْ: مَا أدري. فقالَ: إنّكِ حملتِ بسيّدِ هذهِ الأُمةِ ونبيِّهَا، وآيةُ ذلكَ أنَّهُ يخرجُ معهُ نورٌ يملأُ بُصرى من أَرضِ الشّامِ، فإذا وُضِعَ فسمِّيه أَحمدَ أو مُحمّدًا، ثُمّ تَركهَا حتى اقتربَتْ ولادتُهَا فجاءهَا يقولُ:

أُعيـذهُ بالـواحـدِ مِن شرِّ كلِّ حَاسدِ.

وقَدْ بقيَ ﷺ في بَطنِ أُمّهِ آمنةَ تسعةَ أَشهرٍ كَاملةً، لا تشكُو وَجعًا ولامغصًا ولاريحًا ولا مَا يعرضُ لذواتِ الحملِ من النّساءِ.

وأثناء مُدّةِ الحملِ تُوفي عَبدُ الله بنُ عبدِ المطَّلب، زَوج آمنةَ، فحزنت عليه حزنًا شديدًا، ولم يترك عبدُ اللهِ لزوجتهِ سوى خَمسةِ جمالٍ وقِطعةِ أَرضٍ وجَاريةٍ تُسمى أُمّ أيمنَ.

وفي يومِ الاثنينِ ١٢ مِن ربيعِ الأوَّلِ بَعد حَادثةِ الفيلِ بخمسينَ يَومًا، ولدتْ آمنةُ ابنهَا المُباركَ، ورأتْ بعينِهَا ما أُخبرَتْ بهِ؛ رأتْ نُورًا سطعَ منهَا فضاءتْ له قُصورُ الشّامِ. ونزلَ المولودُ على كفيّهِ وركبتيهِ شَاخصًا ببصرهِ إلى السّماءِ، قَابضًا أصابعَ يدِهِ، مُشيرًا بالسبابةِ كالمسبّحِ بهَا.

وأرسلَتْ آمنةُ إلى جدّهِ عَبدِ المطَّلبِ، تُخبرهُ بأنّهُ قد وُلِدَ لهُ وُلدٌ، فجاءَ مُسرعًا، فحدّثته بما رأتْ في حَملِه ومَا أُمرتْ به أنْ تُسميّهِ، فحملهُ عبدُ المطّلبِ إلى الكعبةِ، وطَاف بهِ البيت، يدعُو الله ويشكرُهُ، وسمّاهُ مُحمّدًا، فلمّا سألهُ النَّاس عن سببِ تسميتهِ قالَ: أردتُ أن يَحمدَهُ الله في السماءِ ويحمدَهُ النّاسُ في الأرضِ.

وكانَتْ آمنةُ بنتُ وَهب أوّلَ من أرضعتْ ابنهَا مُحمّدًا وظلّتْ تُرضعهُ سَبعةَ أيامٍ، ثُمَّ جَاءَتْ المرضعاتُ من بني سَعدٍ، فأخذتْهُ حَليمةُ السعديّةُ إلى ديارِ بني سَعد، فكانَ بَركةً عليهَا وعلى قومِها.

ثُمَّ عادتْ حَليمةُ بالنَّبِيِّ ﷺ إلى مكّةَ بعد حَادثةِ شقِّ الصدرِ، فعاشَ مع أُمِّه آمنةَ، في رعايتِهَا ورعايةِ جَدّهِ عبدِ المطَّلب حتى بلغَ ستّ سَنواتٍ، فطلبتْ آمنةُ من عبدِ المطّلبِ

أن تزورَ أهلهَا وأخوالَ ابنهَا ﷺ من بني عَدي بنِ النجّارِ في يَثربَ، فأذنَ لهَا عبدُ المطّلبِ، فخرجتْ بهِ ومعهَا جاريتُهَا أمُّ أيمنَ؛ حتى وصلَتْ يثربَ، فزارَ أخوالَهُ، وفرحُوا به فَرحًا شديدًا وظلّتْ عندهُمْ شَهرًا.

وفي يَثربَ رآهُ رُهبانُ اليهُودِ، فنظَر إليه أحدُهُمْ وسَألَهُ: يا غُلامُ ما اسمُكَ؟ قالَ: أحمدُ. فنظَر إلى ظَهرِه ﷺ، ثُمَّ قالَ: هَذا نَبيٌّ هذه الأُمَّة. ثُمَّ ذهبَ إلى أُمِّه وأخوالِه فأخبرَهُمْ بذلكَ، فخافتْ أُمُّه آمنةُ عليهِ بطشَ اليهُودِ وكيدَهُمْ، فخرجَتْ بهِ من يَثربَ عائدةً إلى مكّةَ، ولكنَّها قبلَ أن تَصل إلى مكّةَ مرضَتْ في مكان يُسمى «الأبواء»، وشعرَتْ بدنوّ أجلِهَا، فأوصَتْ جَاريتَهَا أُمّ أيمنَ بابنِهَا، ثُمّ قالتْ: كلُّ حَي مَيتٌ، وكلُّ جَديدٍ بَالٍ، وكلُّ كَبيرٍ يَفنى، وأنا ميتةٌ، وذكرِي باقٍ، وقَدْ تركتُ خَيرًا، وولدتُ طُهرًا.

ثُمّ تُوفيتْ السيدةُ آمنةُ، ودُفنتْ في المكانِ الذي ماتَتْ فيهِ.

وقَدْ قالَ أحدُ النّاسِ يَرثيِهَا:

نَبكـي الفتـاةَ الـبرّةَ الأمينَـة ... ذاتَ الجمالِ العَفَّةَ الرزينَـة
زَوْجَـةَ عَبـدِ الله والقَرينَـة ... أُمّ نـبيٍّ الله ذِي السّـكينَة

* * *

حَليمةُ السعديّةُ

هي السيدةُ حَليمةُ بنتُ أبي ذُؤيبَ عَبدِ الله السعديّةُ، أَرضعتْ رسولَ الله ﷺ، وأتمّتْ رضاعَتَهُ حتى الفصَال، وقَدْ عَرفَ النَّبيّ ﷺ لها ذلكَ الجميلَ؛ فعَن أَبي الطُّفيلِ قالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقسِّمُ لحمًا بالجعرانة، فجاءتْهُ امرأةٌ فبسطَ لها رداءَهُ، فقلتُ: مَن هذهِ؟ فقالَوا: أُمُّهُ التي أَرضعتْهُ. [الطبراني].

قَدمَتْ السَّيدَةُ حليمةُ ـ رضَي الله عنهَا ـ مكّةَ تلتمسُ طفلاً رَضيعًا، وكانتْ تلكَ السّنةُ مقحطةً جَافةً على قبيلتِهَا ـ قَبيلةِ بني سَعدٍ ـ جعلَتْ نساءَها ـ ومنهنّ حَليمةُ ـ يسعينَ وراءَ الرزقِ، فأتيَن مكّةَ؛ حَيثُ جَرتِ العَادةُ عَندَ أهلِهَا أنْ يدفَعُوا بصغارِهِمْ الرُّضَّعِ إلى مَن يكفلُهُمْ.

وتَروي لنَا السيدةُ حَليمةُ قصتَهَا، فتقولُ: قدمتُ مكّةَ في نِسوةٍ من بَني سَعدٍ، نلتمسُ الرّضعاءَ في سَنَةٍ شَهباءَ (مُجدبةٍ) على أَتانٍ ضَعيفةٍ (أُنثى الحِمارِ) مَعي صَبيٌّ ونَاقةٌ مسنّةٌ. ووالله مَا نمنَا ليلتنَا لشدةِ بُكاءِ صَبيّنا ذاكَ من أَلمِ الجوعِ، ولا أَجدُ في ثَديي مَا يعينُهُ، ولاَ في ناقتنَا مَا يغذّيهِ، فَسرْنَا على ذلكَ حتى أتينَا مكّةَ، وكانَ الرّكْبُ قد سبقَنا إليها، فذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخذتُهُ، فمَا هو إلا أنْ أخذتُهُ فجئتُ به رَحلي

حتى أقبلَ على ثَدياي بما شاءَ من لبنٍ، وشربَ أخوهُ حتى رَوِي، وقامَ زَوجِي إلى النّاقةِ فوَجدَها حَافلةً باللبنِ؛ فحلبَ وشربَ، ثُمّ شَربتُ حتى ارتوينَا، فبتنَا بخيرِ لَيلةٍ، فقالَ لي زَوجي: يَا حليمةُ! والله إنّي لأراكِ قد أَخذتِ نِسمةً مُباركةً، أَلَمْ تري ما بتنا بهِ الليلة من الخيرِ والبركة حِين أَخذناهُ؟!

كانتْ حَليمةُ ـ رضَي الله عنهَا ـ أَمينةً على رسولِ الله ﷺ، حَانيةً عليهِ، ما فرَّقتْ يَومًا بينَهُ وبيَن أولادِهَا من زوجِهَا، ومَا أحسّ عندَهَا رسولُ الله ﷺ شيَئًا مِن هذَا.

وكانَ لهَا من زوجِهَا الحَارثِ بن عَبدِ العزّى أَبناءٌ، هُم أخوةٌ لرسولِ الله ﷺ من الرّضاعةِ، وهُم عَبد الله، وأُنيسةُ، وحُذافَةُ (وهي الشيَماء).

وكانَ رسولُ الله ﷺ يَصِلُ حليمةَ، ويُهْدِي إليهَا، عِرْفانًا بحقّها عليهِ؛ فقَدْ عاشَ معهَا قرابةَ أربعةِ أعوامٍ، تربَّى فيها على الأخلاقِ العربيةِ، والمروءةِ، والشهامةِ، والصدقِ، والأمانةِ، ثُمَّ ردَّته إلى أُمّه السيدةِ آمنةَ بنتِ وَهبٍ، وعمرُهُ خَمسُ سَنواتٍ وشَهرٌ وَاحدٌ.

وقَدْ أحبّهَا النَّبيّ ﷺ حبًّا كبيرًا؛ حتى إنّهُ لمّا أخبرتهُ إحدى النّساءِ بوفاتِهَا ـ بعدَ فتحِ مكّة ـ ذرفَتْ عينَاهُ بالدموعِ عليهَا.

فاطمةُ بنتُ أَسدٍ

لما تُوفِّيتْ دخلَ عليها النَّبيّ ﷺ وجلسَ عند رأسِهَا، وقالَ: «رحمكِ الله يا أُمِّي، كنتِ أُمِّي، تجوعينَ وتشبعينِني، وتعرّيْنَ وتكسينِني، وتمنعينَ نفسكَ طيبهَا وتطعمينِني، تريدينَ بذلكَ وجه الله والدّارَ الآخرةِ». ثُمّ أمرَ ﷺ أن تُغسّلَ ثَلاثًا، فلمّا بلغَ الماءُ الذِي فيه الكافورُ سكبَهُ رسولُ الله ﷺ بيدِه، ثُمَّ خلعَ قميصَهُ، فألبسهَا إياهُ، وكفّنهَا، ولما حُفِرَ قبرُهَا وبلغُوا اللَّحدَ حفرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بيدِه وأخرجَ تُرابهُ، فلمّا فرغَ، دخلَ ﷺ فاضّطجعَ فيه ثُمَّ قالَ: «الله الذي يُحيي ويُميتُ، وهُو حي لا يموتُ، اللهمّ اغفر لأُمِّي فاطمةَ بنتِ أسدٍ، ولقِّنهَا حُجتَها، ووَسِّعهُ عليهَا بحقِّ نبيّكَ والأنبياءِ مِن قَبلي، فإنكَ أرحمُ الراحمينَ». ثُمّ كبَّر عليهَا أربعًا، وأدخلهَا اللحدَ ومعَهُ العبّاسُ وأبو بكرٍ الصِّديقُ يُساعدَانِه. [الطبراني].

وعندما سَأله الصحابةُ: ما رأيناكَ صَنعتَ بأحدٍ مَا صنعتَ بهذِه، قالَ: «إنّهُ لم يكنْ بعد أَبي طالبٍ أبرّ بِي منهَا، وإنَّما ألبستُها قميصِي لتُكْسَى من حُللِ الجنّةِ، واضطجعتُ في قبرِهَا لأُهَوِّنَ عليهَا عذابَ القبرِ» [الطبراني].

هذهِ هي مَنزلةُ السّيدةِ «فَاطمةَ بنتِ أَسدٍ» زَوجِ أَبي طَالب

عندَ رسُولِ الله ﷺ؛ حيثُ كانتْ ترعَاهُ رعايةً خاصةً، فقدْ كانَتْ تشعرُ باليتْمِ الذي يُعانيهِ؛ حتى إنّهَا كانَتْ تُفضّلُهُ على أبنائِهَا.

وقَدْ نَشأتِ السيدةُ فاطمةُ في بيتٍ من أشرفِ بيوتِ قُريشٍ وأعزّهَا، فأبوهَا هو «أسدُ بنُ هَاشمٍ بنِ عَبدِ مَنافِ بن قَصي»، وأُمُّها «فَاطمةُ بنتُ قيَسٍ».

وقدْ تزوّجَتْ «فاطمةُ بنتُ أسدٍ» من أَبي طَالبٍ فولدتْ لهُ طَالبًا وعُقيلاً وجَعفرًا وعليًّا ـ كَرَّمَ الله وجههُ ـ، وأُمُّ هَانئٍ، وجُمانةَ، وريطةَ.

وقَدْ تركتْ معاملتُهَا في نفسِ النَّبيّ ﷺ ـ وهو طفلٌ ـ أَبلغَ الأَثرِ، فَقدْ كانتْ حَميدةَ الأخلاقِ، عَميقةَ الإيمانِ، صَافيةَ النيةِ، ممَّا جعلهَا تتركُ أثرًا بالغًا ـ أيضًا ـ في نفوسِ أبنائِها، وخاصةً الإَمامِ عليٍّ بنِ أَبي طَالبٍ رضيَ الله عنهُ.

وظلَّتْ فاطمةُ تُمارسُ دورَهَا بعدَ وفاةِ زوجِهَا أَبي طَالبٍ، فدخلَتْ في الإسلامِ وهَاجرَتْ، وكافحَتْ في سبيلِ توطيدِ دَعائمِ الدينِ الحنيفِ.

وكانَ علي يقولُ لهَا بعدَ أن تزوّجَ فاطمةَ الزّهراءَ بالمدينةِ: يا أُمي اكفِي فَاطمةَ بنتَ رَسولِ الله ﷺ سِقايةِ الماءِ، والذّهابَ في الحاجةِ، وتكفيكِ الدّاخلَ: الطّحنَ والعَجنَ. [الطبراني].

أُمُّ أَيمنَ بركةُ بنتُ ثَعلبةَ

هي إحدَى المُهاجرات الأُولِ، كانَ رسولُ الله ﷺ يُناديهَا: «يَا أُمَّه»، وكانَ إذَا نظرَ إليهَا، يقولُ: «هَذِهِ بقيةُ أهَلِ بيتِي» [ابن سعد والحاكم]. وكانَ النَّبيُّ ﷺ يزورُهَا دَائمًا، ويكرمُهَا، ويقولُ عنهَا: «أُمّ أَيمن أُمِّي بعد أُمِّي». وكانتْ هي سَعيدةً بهذَا الأمرِ، وتعيشُهُ كأنّهُ حَقيقةٌ، فكانتْ تحنُو عليهِ حَنان الأُمِّ على ابنهَا، وتَخشى عليهِ خَشيتَها، وتَغضبُ أَحيانًا عليهِ كمَا تغضبُ الأُمّ، فعَن أنسٍ ـ رضي الله عنهُ ـ قالَ: انطلقَ بَنا رَسولُ الله ﷺ إلى أُمِّ أيمن، فانطلقتُ معهُ، فناولتهُ إناءً فيه شَرابٌ. قالَ: فلا أدرِي أصادفتُهُ صَائمًا أو لم يُرِدْهُ، فجعلَتْ تصخبُ عليه (تصرخُ فيهِ) وتُذمرُ عليهِ (تكلمهُ بحدةٍ وغضبٍ) ومَا كانَتْ لتفعلَ ذلكَ معَ رسولِ الله ﷺ إلا وهوَ يعلمُ أنّهُ بمثابةِ الابنِ، فهِي قَدْ حضَنَتْهُ وربّتْهُ ﷺ.

هذهِ هي أُمّ أيمنَ ـ رضِيَ الله عنهَا ـ التي أحاطَتْ رسولَ الله ﷺ بحبِّهَا ورعايتِهَا، وكانتْ أُمَّهُ صَغيرًا وكَبيرًا، فأكرمهَا الله ـ سُبحانَهُ وتَعالى ـ بفضلِه، وجزاهَا خيرًا على جميلِهَا، وحفظها كما حفظَتْ النَّبيّ ﷺ، فتَروي لنا قصةَ هجرتِهَا إلى المدينةِ، ومدَى حَمايةِ الله تعالى لهَا، فتقولُ: خرجتُ مُهاجرةً

من مكَّةَ إلى المدينةِ، وأنا مَاشيةٌ على رجلِي، وليسَ معي زَادٌ، فعطشتُ وكنتُ صَائمةً فأجهدنِي العطشُ، فلمّا غابَتِ الشمسُ إذَا بإناءٍ تعلَّقَ عندَ رأسِي مُدَلًّى برشَاءٍ (أي حَبلٍ) أبيضَ، فدنَا منِّي حتى إذَا كانَ بحيثُ أستَمكنُ منهُ، تناولتُهُ فشربتُ منهُ، حتى رَويتُ، فكنتُ بعد ذلكَ - في اليومِ الحارِّ - أطوفُ في الشمسِ؛ كي أعطشَ فمَا عطشتُ بعدهَا. [ابن سعد].

لمَّا تُوفي النَّبِيّ ﷺ قالَ أبو بكرٍ الصّدّيقُ لعُمر بنِ الخطّاب - رضي الله عنهما -: انطلقْ بنا إلى أُمّ أيمن نزورُهَا، كمَا كانَ رسولُ الله ﷺ يزورُهَا، فلمّا دَخلا عليهَا بكَتْ. فقَالا: ما يبكيكِ، فما عندَ الله خيرٌ لرسولِهِ؟ قالَتْ: أبْكِي أنّ وحْيَ السماءِ انقطعَ. فهيَّجتهمَا على البكاءِ، فجعلتْ تبكِي ويبكيانِ معها. [مسلم وابن ماجه].

وكانتْ أُمّ أيمنَ - رضي الله عنهَا - تُعرفُ بالحبشيّةِ، وهي وَصيفةُ (خادمةُ) عَبد الله بن عَبد المطّلبِ والد النَّبِيّ ﷺ، فلمّا ماتَ صَارت لزوجتهِ آمنةَ بنتِ وَهبٍ أُمِّ النَّبِيّ ﷺ، فظلّتْ تُكِنّ لها كلَّ إخلاصٍ ومحبّةٍ صَادقةٍ، وسَافرتْ معهَا ومعَ ابنهَا محمّدٍ ﷺ إلى يَثربَ لزيارةِ قبرِ زوجِهَا عَبد الله، ولمّا عادُوا مَرضتْ أُمُّ النَّبِيِّ ﷺ، وماتَتْ في الطريقِ، فدفنتْهَا أُمُّ أيمنَ في مكانٍ يُعرفُ بالأبواءِ، وسَطَ الصحراءِ في الطريقِ

بين مكّةَ والمدينةِ، وحملَتْ النَّبِيّ ﷺ إلى جدّهِ عَبد المطّلب، وظلّتْ تخدمهُ وتسهرُ على راحتهِ؛ حتى تزوّجَ ﷺ السيدةَ خَديجةَ بنتَ خُويلدٍ رضيَ الله عنها، فانتقلتْ معهُ إلى منزلِهَا، وكانتْ مَوضعَ احترامٍ وتقديرٍ منهَما.

وعندَما تقدّم إليهَا عُبيدُ بنُ زيدٍ مِن بني الحَارث بن الخَزرج للزّواجِ منهَا تكفلتِ السيدةُ خَديجةُ بتجهيزِهَا، وبعدَ عَامٍ من الزّواج أنجبتْ منه ابنهَا (أيمن الذي تُكنى به دائمًا)، وقد استُشهدَ أيمنُ في موقعةِ خَيبرَ، ولما تُوفي عُبيدُ بن زيدٍ ـ زَوجُ أُمِّ أيمنَ ـ تَقدّمَ «زيدُ بنُ حَارثةَ» للزّواجِ بالسيدةِ أُمِّ أيمنَ، وزادَ من رغبتهِ فيهَا قَولُ الرّسولِ ﷺ: «مَنْ سرّهُ أن يتزوجَ امرأةً من أهلِ الجنّةِ، فليتزوّجْ أُمَّ أيمنَ»[ابن سعد]، فولدَتْ لهُ «أُسامةَ بنَ زيدٍ» حِبَّ رَسولِ الله ﷺ.

وهي إحدَى المؤمنَاتِ المُجاهداتِ اللّاتي شَاركنَ في المعاركِ الإسلاميةِ معَ رسولِ الله ﷺ، فقدْ شهدتْ أُحدًا، وكانتْ تَسقي المسلمينَ، وتُداوي الجَرْحَى، وشَهدتْ غزوةَ خيبرَ.

وروتْ أُمُّ أيمنَ ـ رضيَ الله عَنهَا ـ بعضًا مِن أحاديث رَسولِ الله ﷺ. وتُوفِّيتْ ـ رضيَ الله عنهَا ـ في آخرِ خلافةِ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ رضيَ الله عنهُ، ودُفنَتْ بالمدينةِ بعدَ أن تجاوزَتْ التسعينَ من عُمرِهَا.

صَفيَّةُ بنتُ عَبدِ المطّلبِ

هي صَفيةُ بنتُ عَبدِ المطّلبِ بنِ هَاشمٍ، تزوّجَهَا في الجاهليةِ الحَارثُ بنُ حَربِ بنِ أُميةَ، فولدتْ له ولدًا، ثُمّ تزّوجهَا «العّوامُ بنُ خُويلد» فولدَتْ لهُ الزّبيرَ، والسّائبَ، وعَبدَ الكعبةِ. أسلمتْ صَفيّةُ ـ رضيَ الله عنهَا ـ مَع ولدِهاَ الزّبيرِ، وقيلَ: مع أخيهَا حَمزةَ. وبايعتِ النّبيّ ﷺ، وكانتْ مِن أوائلِ المهاجراتِ إلى المدينةِ المنّورةِ.

قَالتْ عائشةُ ـ رضيَ الله عنهَاـ: لَمّا نزلتْ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قامَ النّبيّ ﷺ فقالَ: «يا فَاطمةَ بنت مُحمد، يا صفية بنت عبدِ المطلبِ، يا بني عبدِ المطلبِ، لا أملكُ لكُمْ من الله شيئًا، سلونِي من مَالي مَا شئُتْم» [مسلم والنسائي والترمذي وأحمد].

وكانتْ ـ رضي الله عنهَا ـ صَابرةً مُحتسبةً، رَاضيةً بقضاءِ الله، تَرى كلّ مُصيبةٍ هينةً ـ مهمَا عظمَتْ ـ ما دَامتْ في سبيلِ الله.

ففِي غَزوةِ أُحدٍ أقبلتْ لتنظرَ إلى أَخيها حَمزةَ الذِي استُشهدَ، فلقيهَا ابنُهَا الزّبيرُ، فقالَ: أي أُمّه، رسولُ الله ﷺ يأمركِ أنْ تَرجعِي، قالتْ: ولِمَ؟ وقَدْ بلغنِي أنه مُثّلَ بأخِي، وذلكَ في الله، فمَا أرضانَا بما كانَ في ذلكَ، لأصبرنَّ وأحتسبنَّ إن شاءَ الله.

فجاءَ الزبيرُ فأخبرَ النَّبيّ ﷺ فقالَ: «خلِّ سبيلَهَا». فأتتْ إلى حَمزةَ، واستغفرتْ لهُ، ثُمَّ أمرَ النَّبيّ ﷺ بدفنه.

وكانتْ صَفيةُ ـ رضيَ الله عنهَا ـ مقاتلةً شجاعةً، فعندمَا خرجَ ﷺ إلى غزوةِ الخندقِ، جعلَ نساءَهُ في بيتٍ لحسّانَ بنِ ثَابتٍ، فجاءَ أحدُ اليهودِ، فرقَى في الحصنِ حتى أطلَّ على النّساءِ، فقامَتْ إليهِ صَفيّةُ ـ رضيَ الله عنهَا ـ فضربتْهُ وقطعتْ رأسَهُ، ثُمّ أخذتْهَا، فألقتْهَا على اليهودِ وهُمْ خَارجُ البيتِ، فقالُوا: قد علمنا أن هذَا ـ أي النّبيّ ﷺ ـ لَمْ يكن ليتركَ أهلَهُ ليسَ معهُمْ أحدٌ يحميهمْ، فتفرّقُوا.

ولماَ ماتَ النَّبيّ ﷺ رثتهُ صَفيّةُ بقولِهَا:

يَاعَينُ جُودي بدمعةٍ وسُهودِ	واندبِي خيرَ هالكٍ مفقُودِ
فلقَـدْ كانَ بالعـبادِ رَؤوفَا	ولهُمْ رحمَـةً وخيرَ رَشيدِ
رضيَ الله عنهُ حيًّا وميّـتًا	وجزَاهُ الجنانَ يومَ الخلُودِ

تُوفيتْ «صَفّيةُ بنتُ عَبد المطّلبِ» سَنَةَ عشرينَ هجرّيةً في خلافةِ عُمرَ بنِ الخطّابِ ـ رضيَ الله عنهُ ـ وعندهَا بضعٌ وسبعونَ سَنةً، ودُفنَتْ بالبقيعِ في فناءِ دَارِ المغيرةِ بنِ شُعبةَ. وقَدْ رَوَتْ عن رسولِ الله ﷺ بعضَ الأحاديثِ، فرضيَ الله عنهَا وأرضَاهَا.

أَروَى بنتُ عَبدِ المطَّلبِ

هي أَروَى بنتُ عبد المطَّلبِ بنِ هَاشمٍ، إحدى عمَّات النَّبِيّ ﷺ الستّ، كانتْ قبلَ إسلامِهَا تقفُ معَهُ؛ تؤازرُهُ وتنصرُهُ.

وقَدْ تزّوجَتْ أروَى مِن عُميرِ بنِ وَهبٍ فولدَتْ لهُ طُليبًا، ثُمَّ تزوجَتْ من بعدِهِ كلدةَ بن عَبد منافِ بنِ عَبد الدّارِ فولدَتْ لهُ أروَى.

وذاتَ يومٍ دخلَ عليهَا ابنُهَا طُليبُ بنُ عُميرٍ ـ قبلَ إسلامِهَا ـ فقالَ: يا أُمِّي تبعتُ محمّدًا وأسلمتُ للَّه. فقالَتْ لهُ: إنّ أحقَّ مَن آزرتَ وعَضدتَ ابنُ خالكَ، والله لو كنَّا نقدرُ على ما يقدرُ عليهِ الرجالُ لتبعناهُ ودافعنَا عنهُ. فقالَ طُليبُ: فمَا يمنعك يا أُمّي مِن أن تُسلِمي وتتبعيه، فَقَدْ أسلمَ أخوكِ حَمزةُ؟ فقالَتْ: أنظرُ مَا يَصنعُ أُخواتي ثُمَّ أكونَ إحداهنّ. فقالَ طُليبُ: فإنّي أسألُكِ بالله إلا أتيتِه، فسلمت عليهِ وصدقتهِ، وشهدتِ أنّ لا إلهَ إلا الله وأنّ محمّدًا رسولُ اللَّه.

وقَدْ قالَ بعضُ المؤرخينَ: إنّها أسلمَتْ وهاجرَتْ إلى المدينةِ، واستدلُّوا بما رُوِي أن أبا جَهلٍ ـ ومعهُ عَددٌ من الكفّارِ ـ اعترضُوا النَّبِيّ ﷺ فآذوه، فعمدَ طُليبُ بنُ عميرٍ إلى

أبي جَهلٍ فضربَهُ ضربةً شجّهُ بهَا، فأخذوهُ وأوثقوهُ. فقامَ دونَهُ أبو لَهبٍ حتى خلاهُ. فقيل لأَروَى: ألا ترينَ ابنك طُليبًا قَدْ صيَّرَ نفسَهُ غَرضًا دونَ محمّدٍ؟ فقالتْ ـ رضي الله عنهَا ـ: خَيْرُ أيامِهِ يومَ يذبّ (يدافعُ) عن ابنِ خالِه، وقَدْ جاءَ بالحقّ مِن عند الله. فقالُوا: أوقَدْ تبعتِ محمّدًا؟ قالتْ: نَعَم. فخرجَ بعضُهُمْ إلى أبي لَهبٍ فأخبرَهُ، فأقبلَ حتى دخلَ عليهَا فقالَ: عَجبًا لكِ! ولاتباعكِ مُحمّدًا وتركِكِ دينَ عبدِ المطّلب! فقالَتْ: قد كانَ ذلكَ، فقُمْ دونَ ابن أخيكَ واعضدْهُ وامنعْهُ، فإنْ يَظهرْ أمرُهُ فأنتَ بالخيارِ أن تدخلَ معهُ أو تكونَ على دينِكَ، وإن يُصَبْ كنتَ قد أُعذرتَ في ابنِ أخيكَ. فقالَ أبو لَهبٍ: أوَلَنَا طاقةٌ بالعربِ قَاطبةً، جاءَ بدينٍ مُحْدثٍ. ثُمَّ انصرفَ. وظلَّتْ أروَى ـ رضيَ الله عنهَا ـ مؤازرةً للنبيِّ ﷺ، وناصرةً دينَهُ، حتى تُوفي ﷺ، فلمّا ماتَ ﷺ حَزنتْ عليه حزنًا شديدًا، وقالتْ أبياتًا من الشعرِ في رثائه ﷺ، وكانَ ممّا قالَتْ:

ألا يَارسُولَ اللهِ كُنتَ رجاءَنَا   وكنتَ بِنَا بَرًّا ولَم تَكُ جَافيًا

وَقَدْ توفِّيتْ أروَى ـ رضيَ الله عنهَا ـ سَنَةَ ١٥ مِن الهجرَةِ.

** ** **

سلسلة أشهر النساء

١ – أمهات المؤمنين
٢ – أمهات النبي ﷺ
٣ – بنات النبي ﷺ
٤ – أشهر النساء
٥ – أشهر الشهيدات
٦ – أشهر الزاهدات
٧ – أشهر الخطيبات
٨ – أشهر المجاهدات
٩ – أشهر الفقيهات
١٠– أشهر الشاعرات

٨١٠٠٥٧